الآثار النفسية الناجمة عن التطرف الديني والمذهبي

Psychological effects resulting from religious & doctrinal
extremism

أ.د محمود شمال حسن

Prof. Dr.Mahmoud Shamaal Hassan

كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

College of Literature /Al- Mustansiriyah University

mahmood2000@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

استهدف البحث الحالي الكشف عن الآثار النفسية الناجمة عن التطرف الديني والمذهبي، ولتحقيق هذا الهدف، عمد الباحث إلى رصد وقائع الميدان، واستخلص منها الآثار الناجمة عن هذه الظاهرة، وقد تبين من خلال الرصد، أن ثمة آثارا نفسية قد ترتبت على هذا النوع من التطرف منها: زيادة حدة الكراهية، وزيادة مستوى الفساد السياسي، وصعوبة التعبير عن الرأي. كما نجم عن التطرف الديني والمذهبي، زيادة مستوى النفوذ السياسي للعشيرة او القبيلة، وخفض مستوى تأثير النخبة المثقفة في المجتمع. كذلك ترتب على هذا النوع من التطرف، تعرض بعض الفئات الاجتماعية إلى التهجير القسري، وزيادة معدلات التسرب من الدراسة، وشيوع ظاهرة التكفير بين الجماعات الاثنية، وتجريد الآخر من صفاته الإنسانية، إلى جانب زياد معدلات التعرض إلى الصدمات النفسية، ومن المفيد أن نذكر هنا أن معالجة هذه الآثار تقتضي من الجهات الاجتماعية أن تضع مخططا يشتمل على برامج نفسية واجتماعية بهدف الحد منها.

الكلمات المفتاحية: - التطرف ، الدين ، المذهب ، الكراهية ، العدوان ، المجتمع العراقي .

Abstract

The current research aimed to uncover the psychological effects resulting from religious & doctrinal extremism . To achieve this goal, the researcher monitored the facts of the field & extracted from it the effects resulting from this phenomenon. Through monitoring, it became clear that there are psychological effects that have resulted from this type of extremism, including: increasing the intensity of hatred, increasing the level of political corruption, & difficulty expressing one's opinion. Religious & doctrinal extremism also resulted in an increase in the level of political influence of the clan or tribe, a decrease in the level of influence of the educated elite in society. This type of extremism also resulted in, some social groups have been exposed to forced displacement, increased rates of school dropout, the spread of the phenomenon of excommunication among ethnic groups, & the deprivation of others from their human qualities, in addition to increased rates of exposure to psychological trauma. It is useful to mention here,

that addressing these effects requires social groups to develops a plan that includes psychological & social programs with the aim of reducing it.

Keywords:- Extremism, religion, doctrine, hatred, aggression, Iraqi society.

المقدمة:

لقد شغلت ظاهرة التطرف الديني والمذهبي، اهتمام الباحثين في العلوم الانسانية؛ ولعل سبب اهتمامهم هذا يرجع الى الآثار السلبية المترتبة عليها في النواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. والمهم في الامر، ان هذه الظاهرة في حال استمرارها دون ايجاد الحلول الناجمة لها، ستؤدي الى خفض مستوى الرابطة الوطنية بين افراد المجتمع الواحد، ومن ثم انقسامه الى جماعات اثنية متعددة، لتشكل في نهاية المطاف مجتمعات متميزة. وقد يفضي هذا التمايز في حال استمراره مدة اطول الى المطالبة بتشكيل اقاليم على اساس اثني، مما يؤدي بالمحصلة النهائية الى تكوين دويلات صغيرة، تتولى ادارة شؤونها بنفسها، دون التنسيق مع سلطة المركز، وذلك يعني، اشاعة الفرقة والانقسام في عموم المجتمع.

والدراسة الحالية، ستركز على رصد الآثار النفسية الناجمة عن التطرف الديني والمذهبي في المجتمع، على ان استمرار هذا النوع من التطرف، سيفضي والحال هذه، الى تراكم هذه الآثار، وسينجم عنها اثاراً اخرى من الصعب التكهّن في نوعيتها وشدتها.

مفهوم التطرف:

لقد اجمع الباحثون على اختلاف الحقول المعرفية التي ينتمون اليها، ان التطرف Extremism هو سلوك غير سوي؛ ولأنه كذلك، فقد اختلفوا في تحديد ماهيته؛ وحتى نكوّن تصوراً واضحاً عن المصطلح، نجد من الضروري ان نحدده على المستويين اللغوي والاصطلاحي، اذ ان ثمة تداخلاً بين اللغة والاصطلاح فيما يتصل بالتطرف.

يشير المعنى اللغوي للتطرف الى ((تجاوز موقع الوسط، او الاعتدال. وبذلك فالتطرف هو من يميل الى احد الطرفين على خط افتراضي متواصل)).⁽¹⁾

ويشير معنى اخر، ان التطرف هو ((مشتق من الطرف اي الناحية، او منتهى كل شيء، وتطرف أتى الطرف وجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط، وكلمة التطرف [كما ترد في الذهن] كلمة

(1) العياشي عنصر، العولمة والتطرف: نحو استكشاف علاقة ملتبسة، سياسيات عربية، العدد 21 (تموز

/يوليو، 2016)، ص10

الغلو التي تعني تجاوز الحد، وهو غلا زاد وارتفع وجاوز الحد)).⁽¹⁾ ولقد نبه الله سبحانه عباده من خطورة الغلو بقوله ((لا تغلو في دينكم))⁽²⁾، اي التزموا حدود الاعتدال في الدين، ولا تذهبوا بعيداً. كذلك يشير المعنى اللغوي للتطرف الى ((التشدد وتجاوز الحد، والوسطية يعني العدل والسماحة)).⁽³⁾ وبذلك، يصبح التطرف من الناحية اللغوية، هو الرأي الذي يتجاوز فيه الفرد الوسط، او الاعتدال، وذلك يعني: الانتقال الى احد الطرفين، فاما ان يكون باتجاه اليمين، واما ان يكون باتجاه اليسار، وليس هناك حد فاصل بينهما، على ان الانتقال الى احد الطرفين، دون التفكير بالحد الفاصل بينهما، يعد غلوًا، وهو من الامور غير المفضلة على النطاق الانساني.

اما المعنى الاصطلاحي للتطرف، فقد اختلف الباحثون في تحديده؛ ويرجع سبب الاختلاف الى حداثة المصطلح في ميدان علم النفس الاجتماعي، بالرغم من ان التطرف، او ما يعرف بالاستجابات المتطرفة، ترجع الى منتصف القرن العشرين، فان المصطلح لم يستقر على معنى محدد. وكان هدف الباحثين من دراسة الاستجابات المتطرفة، هو تحديد الانحراف، او الميل عن الاستجابات الطبيعية عند الافراد غير الاسوياء، مقارنة باقرانهم الاسوياء. كما ان التقدم الحاصل في المجتمعات البشرية الى جانب الازمات التي تعرضت لها، اشاع حالة من المبالغة والتشدد في آراء الافراد، وفي مواقفهم، وقد ترتب على ذلك اثاراً نفسية واجتماعية، مما دفع بالمجتمعات الى الاهتمام بهذه الظاهرة، ومحاولة الالمام بتفاصيلها، ليتسنى لها بعد ذلك تقليل مستوى انتشارها. ومايهمنا هنا، ان التطرف، تعددت تعريفاته؛ وبهدف تحديده على وجه الدقة، استعرض الباحث عدداً منها:

يعرف التطرف، انه ((اسلوب للاستجابة او شكل من [الاستجابة] يتميز بالانحراف عما هو شائع)).⁽⁴⁾

(1) عدنان ابو مصلح، معجم علم الاجتماع (عمان: دار اسامة للنشر، 2010)، ص 132

(2) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية : 171

(4) ابو مصلح، معجم علم الاجتماع، ص 133

(5) محمد فرغلي فراج، مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،

1971)، ص 136

والواقع، ان هذا التعريف لم يقدم صورة واضحة عن ماهية التطرف ، وانه اكتفى بتوصيف عام ، انه اسلوب استجابة ، او انه شكل دال على الاستجابة ، يبتعد عن المؤلف ، لذا يعد تعريفاً غير كافٍ لتحديد ماهية التطرف.

ويعني التطرف من وجهة نظر اخرى، انه ((اندفاع غير متوازن الى التحمس المطلق لفكر واحد يصبح معه [الفرد] احادي الشعور وفي حالة اضطراب نفسي يفقده [القدرة على] التمييز بين الحسن والاحسن والسيئ والاسوأ)) (1).

والمتمتع لهذا التعريف، يجد ان التطرف، حُدد على اساس الايمان الراسخ بفكر واحد، او معتقد واحد، يتم بموجبه معالجة المشكلات على اختلاف انواعها، على ان الفرد الذي يتصف بالتطرف، عادة ما يعاني من اضطراب نفسي، كما يرى التعريف، يفقده القدرة على التمييز بين الاشياء، وهو رأي غير سليم. فالمتطرف من الناحية الفكرية، يقع في احد طرفي المنحنى الاعتدالي، وهذا معناه: ان افكاره، او معتقداته، تخرج عن المؤلف، او الشائع عند غالبية الافراد، التي تقع في العادة في وسط المنحنى الاعتدالي، وهو يشير بشكل صريح، ان ثمة انغلاقاً عقلياً، يجعل الفرد يتبنى رأياً واحداً، دون النظر الى الآراء الاخرى.ولو كان الانحراف عن المؤلف، او الشائع اضطراباً نفسياً، فان المبدعين والمبتكرين من الكتاب والادباء والشعراء والمنظرين والعلماء، يعدون من المضطربين نفسياً؛ لانهم يقعون في الطرف الاخر من المنحنى. لذا ، نقول ان اللاسواء لهذه الفئة، يعد ايجابياً، وليس سلبياً كما هو الحال مع اللصوص والمجرمين، اما التطرف، فانه يعد غير سوي من حيث الاحكام الفكرية التي يتبناها الفرد.

كذلك يعرف التطرف، انه عملية ((اتخاذ الفرد موقفاً متشدداً يتسم بالقطيعة في استجابته للمواقف الاجتماعية التي تهمة، والموجودة في بيئته التي يعيش فيها هنا والآن: وقد يكون التطرف ايجابياً في القبول التام، او سلبياً في اتجاه الرفض التام، ويقع حد الاعتدال في منتصف المسافة بينهما)) (2).

(1) ايوب نوري صبيح ابو رغيف، التطرف في الثقافة العراقية : دراسة انثروبولوجية في منطقة بغداد الجديدة

(جامعة بغداد ، رسالة ماجستير ، 2017) ، ص 43

(2) عنصر ، العولمة والتطرف : نحو استكشاف علاقة ملتبسة ، ص 11

واللافت في هذا التعريف، انه حدد التطرف على اساس، ان الفرد يستصدر احكاماً قاطعة، حيال المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها، وقد تنطوي هذه الاحكام على قبول تام، او رفض تام، وليس هناك تدرج في الاستجابة، فهو اما ان يكون مؤيداً لقضية معينة، واما ان يكون رافضاً لها. كما يشير التطرف الى معنى ((المبالغة لدرجة الغلو والتشدد في التمسك فكرياً او سلوكياً بجملة من الافكار قد تكون دينية عقائدية او سياسية او اقتصادية او ادبية او فنية، يشعر الفرد [انه] يمتلك الحقيقة المطلقة التي لاتقبل الجدل ليعيش بمعزل عن بنية الثقافة والمجتمع، ومنفصل عن [السياق] الاجتماعي الذي يعيش فيه وينتمي اليه، ويعاني [جراء ذلك] من الغربة عن الذات والجماعة معاً))⁽¹⁾.

ويفهم من هذا التعريف، ان التطرف يعد اسلوباً ينطوي على التشدد، او المبالغة في الاحكام التي يتعرض لها في الحياة اليومية، وعادة ماتكون غير قابلة للمناقشة؛ لانه يرى انها على صواب؛ ولانها كذلك، فهو يشعر بالغربة عن سياقه الاجتماعي. ولعل الجديد في هذا التعريف، ان الآراء، او الافكار التي يتمسك بها الفرد، قد تجعله يشعر بالغربة عن الجماعة التي ينتمي اليها؛ وذلك لعدم قدرته على التكيف معها، ومن ثم الاندماج فيها .

ومن التعريفات التي تصدت لتحديد مصطلح التطرف، تعريف يرى ان التطرف عبارة عن ((اسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل اية معتقدات تختلف عن معتقدات [الفرد] او الجماعة او على التسامح معها. ويتسم هذا الاسلوب بنظرة الى المعتقد [تستند الى الآتي]:

1- ان المعتقد صادق صدقاً [تأماً]

2- يصلح لكل زمان ومكان

3- لامجال لمناقشته ولاالبحث عن ادلة [تثبتته] او تنفيه

4- المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تستمد الا من خلال هذا المعتقد دون غيره

5- ادانة كل اختلاف عن المعتقد

6- الاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي او حتى التفسير [بالاكراه]

(1) علاء زهير الرواشدة، التطرف الايديولوجي من وجهة نظر الشباب الاردني: دراسة سوسيولوجية للمظاهر والعوامل، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، السنة 31، العدد 63 (2015)، ص 90

7- فرض المعتقد على الآخرين بالقوة ((⁽¹⁾).

ومما يجدر ذكره، ان التعريف الوارد هنا، يعد من ادق التعريفات التي تناولت التطرف، ولعل دقته تكمن في انه ينظر الى التطرف على انه اسلوب يتسم بالانغلاق العقلي الذي يدفع بالفرد الى رفض معتقدات الغير، وتحديدًا تلك التي تتعارض مع معتقداته الشخصية. كما تبرز دقة التعريف، انه طرح عدداً من الخصائص التي يتصف بها التطرف، وهو الامر الذي جعله اكثر دقة في تحديد المصطلح، في حين ان التعريفات الاخرى، لما نزل بعد، يشوبها بعض الغموض، فضلاً عن غلبة التكرار فيها، مما جعل المصطلح يفترق الى الدقة في توصيف التطرف، وتحديد ماهيته.

يستنتج من التعريفات الواردة :

1- ان التطرف، عبارة عن افكار، او معتقدات تحمل معنى الغلو، وهي تخرج عن نطاق المألوف، او الشائع في الحياة الاجتماعية .

2- ان المعتقدات التي يحملها الفرد، تدفع به الى الاعتقاد، انه يمتلك وحده الحقيقة المطلقة.

3- وهذه الحقيقة صائبة، اذ تصلح لكل زمان ومكان، ولو أخذ بمضامينها، فان الكثير من المشكلات، ستجد طريقها الى الحل .

4- ولان التطرف، يحمل معنى الغلو والتشدد، فهو اسلوب يتسم بالانغلاق العقلي، يدفع بالفرد الى رفض المعتقدات التي تتعارض مع معتقداته الشخصية.

استناداً الى التعريفات الواردة، نستطيع ان نعرّف التطرف الديني والمذهبي على النحو الآتي:

نعني بالتطرف الديني والمذهبي، انه اسلوب يتسم بالانغلاق العقلي، الذي يدفع بالفرد الى رفض المعتقدات الدينية، او المذهبية للآخرين، اذ يجد فيها تعارضاً مع المعتقدات التي يحملها، فهو يؤمن ايماناً راسخاً، انها على صواب؛ ولانها كذلك، فهو يعتقد انها صالحة لكل زمان ومكان. وان الاخذ بها، سيفضي الى حل الكثير من مشكلات المجتمع، وهو على استعداد لفرضها بالإكراه، او القوة، ان اقتضى الامر ذلك. خصائص التطرف الديني والمذهبي :

نشير في هذا السياق الى ان التطرف في المجال الديني والمذهبي، يتصف بعدد من الخصائص، ولعل من اهمها :

(1) سمير نعيم احمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، ورقة قدمت الى: الدين في المجتمع

العربي (ندوة)، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 218

- 1- يعد التطرف الديني والمذهبي، نتاج اجتماعي، بمعنى: ان القوى الاجتماعية والثقافية، تبدأ بتشكيلة في مرحلة مبكرة من حياة الفرد، ومع التقدم في العمر، يزداد حدة، ويصبح من الصعب خفضه، ولاسيما في البيئات التي تشهد تشدداً دينياً ، او مذهبياً .
 - 2- ان الافراد الذين يتصفون بالتطرف الديني، او المذهبي، يعتقدون جازمين،⁽¹⁾ ان معتقداتهم صائبة تماماً، ومما يدل على صوابها، ان تجارب الحياة، كما يرون اثبتت صحتها.
 - 3- كما يعتقد هؤلاء، ان معتقداتهم هذه، تصلح لكل زمان ومكان، ومعنى ذلك: انه بالامكان تعميمها على تجارب انسانية اخرى، مختلفة زماناً ومكاناً .
 - 4- كذلك يعتقد هؤلاء، ان معتقداتهم التي يعتقدونها في المجال الديني، او المذهبي، لايتطرق اليها الشك، وانه لامجال لمناقشتها؛ لان وقائع الميدان، كما يشيرون اثبتت صحتها، لذا لا يشغلون انفسهم في البحث عن الادلة التي تثبت صحة مضمونها.
 - 5- تعد المعتقدات الدينية، او المذهبية للافراد الذين يتصفون بالتطرف، بمثابة اطاراً مرجعياً لهم، اذ يتم بموجبها تفسير الظواهر الحادثة في الطبيعة والمجتمع ومن دونها تبطل عملية التفسير .
 - 6- ومن الخصائص التي يتصف بها المتطرفون في المجال الديني، او المذهبي، انهم يكثرون انتقاد الآراء، او الافكار المخالفة لهم، اذ تشير الشواهد، انهم لم يكتفوا بتوجيه النقد لأولئك المخالفين لهم، وانما توعدوا بالتصفية الجسدية لهم، حين تكون الاوضاع المحيطة بهم مناسبة، وذلك يعكس نفورهم من الآراء المخالفة، ومن ثم صعوبة احتمالها.
 - 7- يلاحظ على التطرف الديني والمذهبي، انه يبرز في ثلاثية وجدانية ومعرفية وسلوكية، فعلى المستوى الوجداني، او الانفعالي، فان التطرف يجعل الافراد اشد كراهية لأولئك الذين يختلفون معهم في الدين، او المذهب، كما يضعف قدرتهم على ضبط انفعالاتهم في المواقف التي تقتضي منهم، التحكم بانفعالاتهم .
- واما على المستوى المعرفي، يضعف التطرف قدرة الافراد على التفكير في الحلول المتعددة للمشكلة الواحدة، كما يضعف قدرتهم على التمييز بين الصواب والخطأ، الى جانب انخفاض مستوى الاستبصار بحقيقة الامور. واما على المستوى السلوكي، فان التطرف الديني، او

(1) احمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، ص 218

المذهبي، يدفع بالافراد الى ان يكونوا اكثر عدواناً من غيرهم، وأميل الى استعمال القوة، بوصفها اسلوباً مناسباً لحل الخلافات مع الاخرين المخالفين لهم في الدين، او المذهب .

8- يعد النفور من الغموض، من الخصائص التي يتصف بها التطرف ؛ والسبب يرجع في واقع الامر الى ان التطرف يجعل الافراد يواجهون صعوبة في تقبل المعتقدات المخالفة لهم على المستوى الديني، او المذهبي .

اذ يجدون فيها غموضاً يصعب عليهم تحمله ، مما يدفع بهم الى رفضها مقدماً ، من دون سماع الادلة ، او الشواهد التي تثبت صحتها .

9- كما لوحظ ، ان الافراد الذين يتصفون بالتعصب، يظهرون درجة كبيرة من التطرف؛ والسبب يرجع الى ان التعصب والتطرف، يجمعهما فكرة النفور من الاخرين، او كراهيتهم، ولاسيما اولئك الذين يختلفون معهم في المعتقدات الدينية، او المذهبية ، فكلما اختلفت هذه المعتقدات، مال الافراد الى التعصب، ومن ثم اصبحوا اكثر تطرفاً، والعكس صحيح، ينخفض مستوى التطرف، حين يكون التعصب اقل حدة.

10- كذلك لوحظ، ان الافراد الذين يتصفون بالتطرف ، يظهرون درجة كبيرة من الجمود الفكري؛ والسبب يعود الى ان الجمود الفكري يدفع بهؤلاء الافراد الى الاعتقاد ، انهم يمتلكون الحقيقة المطلقة،⁽¹⁾ التي لا يتطرق اليها الشك. ولما كان الامر كذلك، فان الحقيقة التي يمتلكونها، تعد منزهة ومقدسة في الوقت نفسه، ولا مجال لمناقشتها، او تقديم الدلائل على صحتها.

11- يلاحظ على الافراد الذين اظهروا درجة كبيرة من التطرف، انهم اشد طاعة لزعيم الجماعة، وتحديداً الزعيم الذي يتصف بالقوة والجرأة والاقدام. ولعل الاله من ذلك، ان الطاعة الشديدة التي يظهرونها لزعيمهم، تدفع بهم الى التضحية بالغالي والنفيس؛ لانهم يعتقدون، ان التضحية بكل ما يمتلكون هي جهاد، والجهاد واجب شرعي، ولاسيما الجهاد الذي ينصب على مقاتلة الكافرين⁽²⁾. وعند تحديد هذه الفئة ، نجد انها تنحصر بالأهل والاقارب ؛ لانهم يعتقدون ان هذه الفئة ،

(1) عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2017)، ص 229

(2) عبد الرحمن الشقير، قتل الاله والاقارب لأسباب دينية ، اضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع)، العددان 38-39 (ربيع - خريف ، 2017) ، ص 130

هي اشد كفرةً من اليهود والنصارى والطوائف الاخرى التي يكفرونها،⁽¹⁾ وهذا يعني صراحة : ان الجهاد من وجهة نظرهم ، يبدأ بالاهل والاقارب أولاً ، ثم الانتقال بعد ذلك الى الطوائف الاخرى الخارجة عن شرع الله كما يرون.

12- ان المتمعن في المعتقدات التي يحملها المتطرفون، يجد انها تركز على التقليل من شأن الحياة، ومن قيمتها، فضلاً عن التقليل من اهمية الحياة الدنيا، بدليل ان الاقوال الصادرة عن هؤلاء المتطرفين، يعدون الحياة، وكأنها الجحيم الذي ينبغي مغادرته، عندما تكون الفرصة مواتية. ونسي هؤلاء، او تناسوا، ان الله سبحانه، اوجد العباد واتاح الفرص المواتية للحياة؛ من اجل اعمار الارض ونشر السلام والوئام فيها. وهذا الرأي له مايسنده على صعيد الوقائع الميدانية ، ففي احد البيانات الصادرة عن تنظيم القاعدة، مخاطباً الحكومات، ورد فيه: ((اذا لم توقفوا مظالمكم، فان المزيد من الدم سيسفك)) . وازاف ((انتم تحبون الحياة، ونحن نحب الموت))⁽²⁾. ويفهم من هذا البيان، ان المتطرفين، يكرهون الحياة ويسعون الى تدميرها ويفضلون الموت عليها، وتلك تعد من الخصائص التي يتميز بها المتطرفون عن غيرهم .

الاثار النفسية الناجمة عن التطرف الديني والمذهبي :

تشير الدلائل، ان التطرف الديني والمذهبي قد شاع في عموم المجتمع العراقي، وانه آخذ بالتصاعد، وقد ترتبت على تصاعده جملة من الاثار النفسية، وفي هذا السياق نستعرض ابرزها:
1- زيادة حدة الكراهية:

ان المتتبع لعمليات التفاعل الاجتماعي الحادثة في المجتمع، وتحديدأ بعد موجة التطرف، يجد ان ثمة كراهية، اخذت تشيع بين الجماعات الاثنية، وليس ادل على ذلك، سوى الاحاديث الدائرة بين افراد كل جماعة. اذ تفيد : ان التدهور الحاصل في المجتمع، سواء على المستوى الامني، او على المستوى الاقتصادي، مبعثة الجماعات الاخرى، فهي غير مكترثة بشؤون المجتمع. وانها سهلت في وقت مضى دخول العناصر الارهابية الى المناطق السكنية، ومن ثم قدمت لهم التسهيلات اللازمة، التي تمكنهم من احداث الفوضى والاضطراب داخل المجتمع. كما لوحظ، ان بعض الجماعات الاثنية، اخذت تلقي باللائمة على جماعات اخرى، لكون قياداتها اساءت

(3) الشقير، قتل الاهل والاقارب لأسباب دينية ، ص 130

(4) حسن حماد، ذهنية التكفير : الاصوليات الاسلامية والعنف المقدس (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ، 2015) ، ص 102

استثمار موارد المجتمع. وقد افضى ذلك الى افلاس الخزينة العامة، مما انعكس سلباً على الحياة الاقتصادية، ولاغرابة بعد ذلك، ان نسمع اصواتاً في بعض المدن العراقية، تطالب الحكومة بانشاء اقاليم ادارية؛ وذلك لضمان حقوقها من الموازنة العامة. وحسبنا ان نذكر في هذا المجال، ولو من باب الاشارة، ان استمرار الكراهية بين الجماعات الاثنية، سيفضي الى تهديد عملية الاندماج بين هذه الجماعات. وهذا بدوره سيؤدي الى اشاعة مجتمعات متميزة داخل المجتمع، وقد اثبتت الاحداث الامنية التي شهدتها المجتمع، صحة ماذهبنا اليه. فلقد اخذت كل جماعة تعيش في عزلة عن بقية الجماعات الاخرى؛ وحتى تحافظ على عزلتها هذه، ومن ثم المحافظة على وجودها، اخذت تمنع الجماعات الاخرى من دخول مناطقها، عندما شهد المجتمع انفلاتاً امنياً؛ بحجة ان ما يحصل في مناطق غيرها من الجماعات، هي غير معنية به تماماً، وهو الامر الذي افضى الى خفض مستوى الشعور بالمسؤولية الوطنية.

2 - زيادة مستوى السلوك العدواني:

ان المتتبع لمجريات الحياة الاجتماعية، يجد ان السلوك العدواني بنوعية : اللفظي والبدني، قد زاد بطريقة غير مسبوقه، اثر الزيادة الحاصلة في مستوى التطرف. فلقد لوحظ، ان الافراد من الفئات العمرية كافة، يتبادلون الفاظاً دالة على السباب والتنازب بالالقاب، عندما يختلفون في قضية معينة، وقد ينتهي الخلاف الى اشتباك بالايدي، وربما يتطور الامر الى استعمال السلاح، مما يفضي الى ايقاع المزيد من الاصابات، وهذا بدوره، سيزيد من تهديد الامن الاجتماعي. من المفيد ان نذكر هنا، ان السلوك العدواني الذي شاع في عموم المجتمع، صاحبه نشوء جرائم ارهابية، لم يألفها المجتمع من قبل، اذ تشير البيانات الصادرة عن وزارة الداخلية، ان معدلات هذه الجرائم، آخذة بالزيادة. وهذا يدل دلالة واضحة، ان موجة التطرف الديني والمذهبي، قد اوجدت اجواءً ملائمة لهذا النوع من الجرائم، ولو اجرينا مسحاً لهذه الجرائم، نجد انها تنتزع على النحو الآتي:

أ- ان ثمة عصابات مسلحة، تولت عملية خطف الافراد، ومساومة اسرهم؛ بهدف اطلاق سراحهم، وقد تنتهي بعض حالات الاختطاف الى قتل الضحايا؛ في محاولة من الخاطفين لاختفاء شخصياتهم.

ب- ان ثمة عصابات مسلحة، تولت عملية سلب الاموال التي بحوزة الافراد، الى جانب سلب الممتلكات العائدة الى المؤسسات الحكومية.

ج- شيوع حالات السطو المسلح على المنازل السكنية؛ بهدف سرقتها، وقد تنتهي عملية السطو هذه الى مواجهة مسلحة، قد تتسبب باصابات بالغة لاحد الطرفين، او لكليهما، او تتسبب بقتل احد الطرفين.

د- ان ثمة عمليات ارهابية، اخذت تنفذها الجماعات المتطرفة في الاماكن المكتظة بالسكان، او في المناطق السكنية، مما يؤدي الى الحاق اضراراً بالغة بالمدينين. وقد يترتب على ذلك: حدوث تفكك اسري، ينجم عن فقدان احد الابوين، او لكليهما، فضلاً عن اصابة اخرين بجروح بالغة. وقد تحدث هذه الاصابات، عاهة بدنية مستديمة، او تشويه بدني، وقد يترتب على هذه الاصابات، صعوبة مزاوله الافراد لحياتهم اليومية، وربما تكون الاصابة بالغة الشدة تمنعهم من تدبير شؤونهم الشخصية.

هـ- شيوع جرائم القتل على الهوية الدينية، او الطائفية؛ بسبب الكراهية الحاصلة بين الافراد من اديان وطوائف مختلفة، وهو الامر الذي زاد من معدلات الجريمة في المجتمع، وهذا ادى بالمحصلة النهائية الى خفض مستوى الشعور بقيمة الحياة.

والرأي الذي ننتهي اليه، ان الزيادة الحاصلة في معدلات الجرائم الارهابية، الى جانب تنوع الانماط الدالة عليها، دفعت بافراد المجتمع العراقي الى الشعور، ان الحياة افرغت من مضمونها، ومن ثم اصبحت عديمة المعنى، بل اصبح من الصعوبة بمكان العيش في اوضاع حياتية فاقدة المعنى، ذلك ان المعنى، ينبغي ان يكون موجوداً، وهو لا يمنح⁽¹⁾ باي حال؛ والسبب يرجع الى ان الافراد هم الذين يكتشفون المعنى، وهو لا يخلق، كما تذهب وجهة النظر الوجودية⁽²⁾. لذا نقول، ان هؤلاء الافراد، شعروا ان حياتهم لامعنى لها، وان وجودهم، لاقيمة له، ولما كان الامر كذلك، فقد افضى ذلك الى استتارة نفورهم وتبرمهم من الحياة.

3- الشعور بالاغتراب الثقافي:

تشير الدلائل، ان الافراد الذين يتصفون بدرجة عالية من التطرف، اظهروا صعوبة بالغة في الاندماج مع الثقافة السائدة، او بتحديد ادق : ان هؤلاء، كانوا يشعرون في كل لحظة، انهم غرباء عن هذه الثقافة، وانهم لا يمتنون لها بصلة. والواقع، ان سبب الاغتراب هذا؛ يرجع الى

(1) عادل محمد هريدي، نظريات الشخصية، ط2 (القاهرة: ايتراك للطباعة والنشر، 2011)، ص106

(2) هريدي، نظريات الشخصية، ص106

المعتقدات التي يحملونها، وإذا امعنا النظر فيها، نجد انها تتعارض مع المعتقدات الشائعة في الثقافات الفرعية للطبقات المتوسطة والراقية.

اذ يعتقد هؤلاء - وهم من الفقراء والمحرومين - ان معتقداتهم هي التي يعول عليها في اصلاح المجتمع، او احداث تغييرات جوهرية فيه. وعند تجاهل هذه المعتقدات كما يرون، فان برامج الاصلاح، او التغيير المنشود، سيتعطل، ومن ثم سيدخل المجتمع في دوامة من الخلافات، التي تقضي بدورها الى مزيد من المشكلات.

والمهم في الامر، ان هؤلاء، اخذوا يواجهون صعوبة في التكيف مع الثقافة السائدة، وبالنتيجة اصبحوا اكثر اغتراباً مع مرور الوقت.

4- ديمومة الفساد السياسي: نشير الى ان موجة التطرف التي شهدتها المجتمع العراقي، قد عمدت الى تنمية الفساد بانواعه المختلفة، ولعل من اخطر هذه الانواع، الفساد الحاصل في الميدان السياسي. والسؤال الذي نطرحه في هذا الصدد: كيف تمكن التطرف من تنمية الفساد السياسي؟ وما الجهات التي ساعدت على تنميته؟

وللاجابة نقول، ان موجة التطرف، اتاحت للحزب السياسية، وتحديداً الاسلامية منها، ان توظف الازواضع الاستثنائية التي تشكلت اثر التطرف لصالحها؛ وذلك من خلال الافادة من التأييد الشعبي الذي تحظى به في المناطق الشعبية والعشوائية التي تتمتع بكثافة سكانية عالية. واذا امعنا النظر في الاسباب التي جعلت هذه المناطق اكثر تأييداً للحزب الاسلامية، نجد في المقدمة منها : ارتفاع مستوى التدين لسكان هذه المناطق، وقد عمدت الاحزاب الاسلامية الى توظيف هذه الظاهرة لصالحها؛ وذلك بطرح خطاب يغلب عليه الطابع المذهبي؛ في محاولة منها لاستمالة السكان، ومن ثم دفعهم الى تأييدها، وقد حققت نجاحاً كبيراً في هذا الصدد. كما ان الافراد الذين يعيشون في هذه المناطق، يتمتعون بوعي سياسي منخفضاً للغاية، فضلاً عن انخفاض مستواهم الثقافي، وهو الامر الذي مكن هذه الاحزاب من التلاعب بوعيهم السياسي، ومن ثم توجيهه، طبقاً لمخططاتها.

والرأي الذي نريد ان نصل اليه، ان هذه الاحزاب، عمدت الى توظيف التأييد الشعبي في خدمة مخططاتها السياسية، التي تستهدف بالدرجة الاساس، الوصول الى مجلس النواب، ومن ثم تشكيل الحكومة بعد ذلك، وهو الهدف الذي تسعى اليه؛ وحتى يتحقق ذلك، فان الامر يقتضي،

استقدام شخصيات فاشلة وفسادة في الوقت نفسه، الى جانب افتقارها الى الكفاءة المطلوبة على المستوى السياسي والاقتصادي؛ لكي تتمكن من خلالها تحقيق ماتصبو اليه .
والواقع، ان وصول هذه الشخصيات الى السلطتين التشريعية والتنفيذية، منحها فرصة لاستقدام شخصيات اخرى فاسدة وفاشلة على شاكلتها، وكأن عملية الفساد هذه، تعيد انتاج نفسها في كل مرة، ولكن بطرق جديدة. فمرة تعتمد على اللباس الديني في ترويج مرشحها، ومرة اخرى تعتمد على شخصيات تكنوقراط، تتمتع بمستوى منخفض من الكفاءة، وثالثة تعتمد على شراء الذمم عن طريق المال السياسي. وبموجب هذه الطرق، يتم المحافظة على الفساد السياسي، وديمومته عبر شخصيات مختلفة في كل دورة انتخابية.

5- صعوبة التعبير عن الرأي :

ان موجة التطرف التي اخذت تشيع في عموم المجتمع العراقي، جعلت الافراد يواجهون صعوبة في التعبير عن آرائهم المتعلقة بالشخصيات البارزة في المشهد السياسي تحديداً. اذ اخذوا يخفون آرائهم التي تتعلق بهذه الشخصية، او تلك؛ خشية الملاحقة، او الاستهداف، او الاخفاء القسري، لذا يلجأ هؤلاء الافراد الى الاحجام عن تقديم آرائهم الصريحة المتصلة بهذه الشخصيات؛ ايثاراً للسلامة. ومما يزيد الامور تعقيداً، ان كل شخصية سياسية، اخذت تزعم العصمة، بمعنى : انها بعيدة عن الشبهات، وان عملها في الوسط السياسي، يكاد يخلو من الاخطاء. والافت للانتباه، ان الخطاب السياسي لهذه الشخصيات، يطرح فكرة (المنقذ) بصيغة غير مباشرة. والمتتبع للخطاب الصادر عن هذه الشخصيات، يجد انه يركز على الفكرة القائلة: ان المرحلة الراهنة، تقتضي وجود هذه الشخصية؛ وذلك لارساء دعائم الامن والاستقرار في المجتمع؛ ولان المرحلة الراهنة تقتضي وجود هذه الشخصية، فانها مطالبة بتكريس جل وقتها لحل المعضلات التي تواجه المواطنين، وهو الامر الذي يضيف على هذه الشخصية، او تلك، هالة من القدسية، وينبغي على الجميع - وهو المهم هنا- مراعاة ذلك في اثناء الحديث اليومي. لذا، ينبغي عدم المساس بها، او التشكيك في وطنيتها، وقد يبلغ التطرف باولئك المتعاطفين مع هذه الشخصية، او تلك، الاعلان صراحة باحقيتها لقيادة البلاد والعباد، وعلى الجميع ان يقدم لها فروض الطاعة والولاء؛ لانها قدمت تضحيات كبيرة من اجل الوطن، ولها ارث سياسي عريق، كما انها سليلة اسرة دينية، عُرف عنها الاستقامة والتقوى. وبذلك، فان التأييد الذي تحظى به شخصيات سياسية معينة، اوجد صعوبة في نقدها بشكل مباشر؛ خشية الملاحقة من المحسوبين عليها، مما دفع

بالافراد الى استعمال الاشارات الغامضة في احاديثهم عن هذه الشخصية، او تلك؛ في محاولة منهم لتجنب المتطرفين.

6- زيادة مستوى النفوذ السياسي للعشيرة او القبيلة:

لقد اصبح للعشيرة، او القبيلة نفوذاً سياسياً بارزاً، اثر موجة التطرف التي اجتاحت المجتمع العراقي بعد عام 2003 تحديداً. وقد افضى ذلك الى اضعاف مؤسسات الضبط الرسمي في ضبط سلوك الافراد والجماعات داخل المجتمع، مما ادى والحال هذه، الى انفلات امني على نطاق واسع.

والواقع، ان هذه الاجواء، اتاحت مجالاً للعشيرة، او القبيلة في ان تتحول الى قوة سياسية، شأنها في ذلك، شأن الاحزاب السياسية. والثابت، ان العشيرة، او القبيلة، تركز اهتمامها على مسألة الوحدة القرايية، والمحافظة على التضامن بين افرادها، والاهتمام بشؤونهم. والسؤال الذي نثيره هنا : هل ان العشيرة، او القبيلة تمتلك مقومات العمل السياسي؟ او بمعنى اخر : هل ان العشيرة، او القبيلة تتقن العمل السياسي؟

وللاجابة نقول، ان العشيرة، او القبيلة، تعد احدى القوى الاجتماعية - الثقافية المؤثرة في سلوك الافراد، وهو تأثير ينسجم مع توجهاتها الاجتماعية. بيد انها، لامتلك مقومات العمل السياسي؛ وذلك لأسباب متعددة، منها: ان العمل السياسي، يستند الى توجهات ايديولوجية، والعشيرة، او القبيلة، تفقر الى هذه التوجهات، فهي تتعارض تماماً مع التوجهات الماركسية والقومية والليبرالية. فالماركسية تستند الى فكرة الصراع الطبقي، والتوجهات القومية، تستند الى فكرة الوحدة العربية، والليبرالية، تستند الى حرية الفرد. اما العشيرة، او القبيلة، فهي تستند في حقيقة الامر الى توجهات اجتماعية تتمثل برابطة الدم والولاء للجماعة القرايية، التي تعيش على رقعة جغرافية محددة المساحة؛ ولان توجهاتها اجتماعية، اصبحت مطالبها اجتماعية هي الاخرى، ولم تكن سياسية. وهناك سبب اخر، يجعل العشيرة، او القبيلة، لا تتقن العمل السياسي، ألا وهو: ان شيوخ العشائر والقبائل، لا يمتلكون الثقافة السياسية الكافية، التي تؤهلهم لفهم العمل السياسي، ومن ثم اتقانه. اذ تشير الوقائع الميدانية، ان العشيرة، او القبيلة، التي حاولت الدخول الى المعترك السياسي في الحقبة الملكية، على سبيل المثال، لم يكن دخولها موفقاً، وانها دخلت الى المعترك السياسي، بتحريض من بعض القوى السياسية؛ بهدف تشجيع افرادها على التمرد، وعدم

الاستجابة الى الحكومة؛ وذلك لاحباط جهود الوزارة، ومن ثم اجبارها على الاستقالة، وتلك كانت الغاية المنشودة من تحريض العشائر على الحكومة.

والحقيقة، ان الافتقار الى الثقافة السياسية يعني صراحة: الافتقار الى المهارات السياسية وبالتبعية، الافتقار الى حرفة السياسة، والعمل السياسي يقتضي بين ما يقتضي، اتقان حرفة السياسة. كذلك، فان الولاء للوحدة القروية حصراً، وما يعبر عنه بالعصبية، يعد من الاسباب التي تجعل العشيرة، او القبيلة، لا تتقن العمل السياسي؛ بسبب ان المنطلقات التي تستند اليها العصبية، تتعارض مع منطلقات العمل السياسي. فالمنطلقات التي تستند اليها العصبية، تنحصر بجماعة معينة، وهي الجماعة التي ينتمي افرادها الى اصل قروبي واحد، تربطهم علاقات اجتماعية قوية، مما يترتب على ذلك، بعض الالتزامات الاجتماعية، ومنها على سبيل المثال: المناصرة والاسناد والحماية عند التعرض الى الاخطار من الجماعات الاخرى. وعلى النقيض من ذلك، نجد ان العمل السياسي، يستند الى منطلقات لا تنحصر بجماعة معينة، وانما تشمل منطلقاته الجماعات كافة، داخل المجتمع. لذا، فان العصبية، التي تستند اليها العشيرة، او القبيلة، تعد عاملاً معوقاً في اتقان العمل السياسي. والى جانب هذه الاسباب، نضيف سبباً، يتعلق بادراك العشيرة، او القبيلة لحدودها الاقليمية؛ ذلك ان العشيرة تدرك حدودها الاقليمية على اساس المساحة المخصصة لها، وما يخرج عن نطاق هذه المساحة، يعد ارضاً للغير، بل ان الوطن من وجهة نظرها، ينحصر بالمساحة التي تعيش عليها، وهو لا يعني لها المساحة المحددة دولياً، وبذلك، فان خطابها الاقليمي ينحصر بالمساحة المكانية التي تعيش عليها.

ان هذه الاسباب، تشير الى ان العشيرة، او القبيلة، غير قادرة على الدخول الى المعترك السياسي، ومن الصعب ان تتقن العمل السياسي، بيد ان موجة التطرف التي عمت المجتمع بعد العام 2003 عمدت الى اضعاف فعالية مؤسسة الضبط الرسمي. وكانت النتيجة المترتبة على ذلك كله : ان العشيرة، او القبيلة، اخذت تتولى ضبط سلوك افرادها، مما دفعها الى ان تحل محل المؤسسة الامنية في اداء وظيفتها الامنية، وهو الامر الذي اتاح لها نفوذاً سياسياً غير مسبوق. ولعل الاخطر من ذلك، ان هذه الموجة، اتاحت لها فرصة لان تتحول الى قوة عسكرية منافسة، بعد انتشار السلاح في ارجاء المجتمع. كما ان هذه الموجة، دفعت بزعماء الاحزاب السياسية الى الاعتماد على العشيرة، او القبيلة في الحصول على الاصوات الانتخابية التي تؤهلهم لدخول مجلس النواب، ومن ثم التأثير في العملية السياسية. كذلك، فان موجة التطرف

هذه، دفعت برؤساء العشائر، او القبائل الى الدخول في منافسة مع قادة الاحزاب والقوائم الانتخابية، اعتماداً على نفوذهم العشائري، او القبلي، وهذا زاد بطبيعة الحال من هشاشة العملية السياسية. ونشير ايضاً، ان هذه الموجة، اتاحت مجالاً للعشيرة، او القبيلة في التأثير على الوضع الامني؛ وذلك بتحريض افرادها على احداث اضطراباً امنياً، او فوضى في حال امتناع الحكومة عن الاستجابة لمطالبها.

7- انخفاض مستوى تأثير النخبة المثقفة في المجتمع:

تشير الشواهد، ان النخبة المثقفة في العراق، قد تعرضت الى خبرات مؤلمة، جراء الازمات السياسية والاقتصادية المتلاحقة، فضلاً عن القهر السياسي للحكومات المتعاقبة. والواقع، ان هذه الازمات على كثرتها، قد اثرت تأثيراً سلبياً في النخبة المثقفة، ومن ثم جعلتها ضعيفة في التأثير في المجتمع، على ان موجة التطرف التي شهدتها المجتمع، قد اضعفت الوسائل التي تعتمد عليها في عمليات التأثير، وهو الامر الذي جعلها غير فعالة في احداث التغييرات الاجتماعية المطلوبة، والسؤال الذي نطرحه في هذا الصدد : كيف اضعفت موجة التطرف فعالية النخبة المثقفة؟

وللاجابة نقول، ان موجة التطرف التي اجتاحت المجتمع عمدت الى تشكيل مناخ سياسي حافل بالقهر والارهاب. وبطبيعة الحال، فان ذلك افضى الى اضعاف دور النخبة المثقفة بشكل ملحوظ؛ ذلك ان النخبة المثقفة، لن تكون مؤثرة في المجتمع، مالم يتوافر لها المناخ السياسي، الذي يتيح لها حرية التعبير عن آرائها، دون ملاحقة، او الشعور بالخوف. وغياب الحرية السياسية، ادى الى خفض مستوى تأثيرها بشكل واضح، مما ترتب على ذلك: التزام الصمت حيال العديد من الموضوعات المثيرة.

كما ان موجة التطرف هذه، عمدت الى خفض مستوى الامن الاجتماعي، وهذا بدوره، منع افراد النخبة المثقفة من انشاء المراكز البحثية والمنتديات الثقافية والظهور على شاشات الفضائيات وكتابة المقالات، التي تتناول اوضاع المجتمع في الوقت الحاضر، وقد افضى ذلك كله الى تجريد النخبة المثقفة من مقومات التأثير في الرأي العام. كذلك، نشير ان النخبة المثقفة لاتمتلك قنوات الاتصال الجمعية، التي يتم بموجبها الاتصال بالجمهور المستهدف، وهو الامر الذي حرم هذه النخبة من انتاج خطاب تنويري، يسهم بدوره في اشاعة العقلانية في عموم المجتمع. ونشير ايضاً، ان موجة التطرف، اوجدت جماعات مجهولة الهوية، تولت خطف اللامعين والمتميزين

في الميادين العلمية والثقافية من افراد النخبة المثقفة؛ وذلك لاجبارهم على مغادرة البلاد، او التهديد بالاغتيال في حال البقاء. والقصد هنا واضح، هوضعاف فعالية هذه النخبة في المجتمع، ومن ثم - وهو المهم - افراغ المجتمع من قوى التغيير الاجتماعي، الذي يفضي بالمحصلة النهائية الى خدمة المخططات الاجنبية. والواقع، ان العمليات الارهابية، التي اخذت تطال افراد النخبة المثقفة، عمدت الى اشاعة اجواءً مضطربة، مما ادى والحال هذه، الى خفض انتاجية هؤلاء؛ بسبب ان هذه الاجواء، ستؤدي الى تعطيل العمليات العقلية العليا، وذلك يعني صراحة: انخفاض انتاجية هذه النخبة كماً ونوعاً. كذلك، ستدفع العمليات الارهابية افراد هذه النخبة الى البقاء في منازلهم، او التواري عن الانظار، او الانتقال الى مكان اخر اكثر اماناً، وهذا سيعرض هؤلاء الى الاعياء، وربما ينتهي بهم الامر الى الاصابة باحد الاضطرابات السايكوسوماتية. وقد تتطور الاصابة الى نمط اخر، ربما يكون اكثر شدة، وبالمحصلة النهائية، قد تقضي هذه الاصابة الى اعاقه بعض افراد هذه النخبة من اداء التزاماته العلمية، او الثقافية على النحو المطلوب. كما ان العمليات الارهابية، دفعت بافراد النخبة المثقفة، وتحديدأ اساتذة الجامعة، من اولئك الذين يتمتعون بخبرة تدريسية وبحثية طويلة الى ترك البلاد والهجرة الى الخارج؛ بهدف حماية انفسهم من التصفية الجسدية. وقد تترتب على هذه الهجرة، مشكلات علمية من قبيل: صعوبة احلال الاساتذة الجدد محل القدماء. والصعوبة تكمن في ان الاساتذة الجدد بحاجة الى التأهيل التربوي الذي يشتمل على اساليب التعامل مع الطلبة، وادارة الحوار والمناقشة داخل القاعة الدراسية. ويلاحظ على هؤلاء الاساتذة، انهم يفتقرون الى الخبرة الكافية في طرائق التدريس، فضلاً عن ان مستواهم العلمي في حقل اختصاصهم لم يكن بالمستوى المطلوب. وقد نجم عن ذلك، اثاراً سلبية، انعكست على العملية التربوية برمتها، وهنا نشير الى اهم هذه الاثار.

تشير الدلائل، ان القاعات الدراسية، اخذت تشهد فوضى، لم تألفها من قبل؛ وهذا يعود الى حداثة الموقف بالنسبة الى هؤلاء الاساتذة الذين اخذوا يواجهون صعوبة في السيطرة على القاعة الدراسية، مما ادى الى اشاعة الارتباك وضياح وقت المحاضرة في اسكات الطلبة. كذلك فان عدم المام الاساتذة الجدد باساليب التعامل مع الطلبة، ادى الى احلال الطريقة التسلطية، محل الطريقة المرنة، مما ولد نفوراً عند هؤلاء الطلبة، ومن ثم الشعور بالاستياء والتذمر، وهذا افضى بطبيعة الحال الى اشاعة اجواءً مضطربة داخل القاعة الدراسية. ولعل الاهم من ذلك، ان حالة الاستياء والتذمر التي شاعت بين الطلبة، جعلت الكثير منهم، ينصرف عن متابعة المحاضرة.

كما ان حداثة الخبرة العلمية لهؤلاء الاساتذة، انعكست سلباً على المستوى العلمي للطلبة، اذ بدأنا نشهد في الآونة الاخيرة، ان الحصيلة المعرفية لهؤلاء الطلبة، انخفضت بشكل ملحوظ؛ وذلك يعود الى ان هؤلاء الاساتذة، لم يتمكنوا من استثارة دافعية الطلبة في تحصيل المعرفة. كما ان هؤلاء الاساتذة، اخذوا يقدمون المحاضرات بصيغة مختصرة، دون الالمام بالتفاصيل، وكانت النتيجة المترتبة على ذلك: ان الحصيلة المعرفية لهؤلاء الطلبة، اصبحت منخفضة، ولم ترتق الى المستوى المطلوب. والى جانب ذلك، ان المفردات المقررة للمادة العلمية، لم تتجز بكاملها، وانها اخذت تخضع للاجتهادات الشخصية.

ومن الاثار السلبية المترتبة على تكليف الاساتذة الجدد بمهام تدريسية، ان التقاليد العلمية المتعارف عليها، قد ضعفت بشكل واضح؛ ولعل السبب يرجع الى ان عدد الاساتذة الجدد، بدأ يتغلب على عدد الاساتذة القداماء، وان هؤلاء القداماء، اخذت اعدادهم بالتناقص بمرور الوقت، حتى وصل عددهم في القسم العلمي بين (3-4)، والبقية من الجدد.⁽¹⁾ كما ان الاساتذة القداماء، عزف بعضهم عن التدريس في الدراسات الاولية، واقتصر جهده على التدريس في الدراسات العليا؛ بسبب شعورهم بالإرهاق، جراء الابعاء الناجمة عن التدريس، وهذا ادى الى عزوفهم عن متابعة مجريات الامور داخل القسم العلمي، وهو الامر الذي جعل التقاليد العلمية في الاقسام العلمية، تشهد انحساراً ملحوظاً.

8- التهجير القسري:

لقد اوجدت موجة التطرف التي اجتاحت المجتمع بعد العام 2003، ظاهرة اجتماعية في غاية الخطورة، ألا وهي : التهجير على اساس الهوية الدينية، او المذهبية. والمتتبع لعمليات التهجير التي تعرض لها المجتمع العراقي، يجد انها مرت بمرحلتين : فاما المرحلة الاولى، فقد حدثت في السنوات الممتدة بين 2006-2007، وقد بلغ عدد المهجرين من مناطقهم الاصلية بحدود (2,189,804) مهجراً، استناداً الى البيانات الصادرة عن الهلال الاحمر العراقي.⁽²⁾ في حين،

(1) محمود شمال حسن، النخبة المثقفة العراقية واشكالية التأثير في الوسط الاجتماعي، مجلة حمورابي

لدراسات، السنة 5، العدد 23-24 (صيف-خريف، 2017)، ص 91

(2) هيئة الهلال الاحمر العراقي، المهجرون في داخل العراق، المستقبل العربي، السنة 31، العدد 352

(حزيران/يونيو، 2008)، ص 113

بلغ عدد المهجرين في دول الجوار بحدود (1,450,000) مهجراً، طبقاً لبيانات المفوضية العليا لشؤون اللاجئين⁽¹⁾.

وأما المرحلة الثانية من التهجير القسري، فقد حدثت في عام 2014 بعد دخول الجماعات المتطرفة الى المدن الواقعة في الجهة الشمالية والغربية من العراق. وقد بلغ عدد المهجرين من هذه المناطق بحدود (3,200,000) مهجراً، استناداً الى بيانات بعثة الامم المتحدة في العراق لعام 2016. وبذلك، فان اعداد المهجرين قد بلغت في المرحلة الاولى والثانية، اكثر من ستة ملايين مهجراً، وهؤلاء استقروا في مخيمات وسط العراق؛ لانهم خرجوا الى هذه المخيمات، وهم لا يمتلكون شيئاً من مدخراتهم. كما ان ابتعاد ارباب الاسر عن مصادر رزقهم، زاد من الصعوبات المعيشية لاسر هؤلاء. كذلك، فان المدة الزمنية الطويلة، التي استغرقها التهجير، اضافت عبءاً جديداً الى الابعاء اليومية للمهجرين. لذا نستطيع القول، ان هذه الاعداد الكبيرة من المهجرين، اخذت تعاني من اوضاع معيشية شديدة البؤس والقسوة، وهو الامر الذي زاد من معدلات الفقر والحرمان في المجتمع. واللافت للانتباه، ان عمليات التهجير القسري التي تعرض لها المجتمع، شملت المناطق المتجانسة اثنيًا، ونظيراتها غير المتجانسة. فعلى مستوى المناطق المتجانسة اثنيًا، اجبر الافراد الذين ينتمون الى جماعة اثنية مختلفة على ترك منازلهم والانتقال الى المناطق التي تقطنها جماعتهم .

اما المناطق غير المتجانسة اثنيًا، فان الجماعات المتطرفة عمدت الى افرار هذه المناطق من الافراد الذين يختلفون معها اثنيًا، بحكم الغلبة المسلحة؛ لكي تصبح في نهاية المطاف، متجانسة اثنيًا. كذلك نشير، ان عمليات التهجير القسري التي تعرض لها المجتمع العراقي، دفعت بالاقليات الدينية، او القومية الى الهجرة الخارجية، وتحديدًا الى بلدان اوربا واستراليا والولايات المتحدة؛ هرباً من العمليات الارهابية التي اخذت تستهدف افرادها بشكل مباشر، الى جانب استهداف دور العبادة العائدة لها. وكان من الطبيعي والحال هذه، ان تتخذ قراراً بالهجرة، لحماية بقية افرادها، وبالرغم من ندرة البيانات المتعلقة بحجم الهجرة للجماعات الاثنية غير المسلمة، فان ثمة بيانات غير رسمية صادرة عن هذه الجماعات، تشير ان عدد المسيحيين في العراق، تراوح بين (800,000) - (1,200,000) نسمة قبل عام 2003. وبعد موجة التطرف، بلغ

(3) ساري حنفي، الهجرة القسرية في الوطن العربي: اشكاليات قديمة جديدة، المستقبل العربي، السنة 37، العدد

427(ايلول/سبتمبر، 2014)، ص81

حجم هذه الجماعة اقل من (500,000) نسمة في عام 2010،⁽¹⁾ بيد ان هذا العدد انخفض الى حد كبير بعد العمليات المسلحة التي طالت المناطق المسيحية. فلقد شهدت المناطق التي تقطنها هذه الجماعة، نزوحاً باتجاه بغداد، او كردستان؛ بهدف التخطيط للهجرة الخارجية. كما تعرضت الطائفة الايزيدية الى ابادة جماعية، نفذها تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) في منطقة سنجار التابعة لمحافظة نينوى، فضلاً عن خطف (5000) امرأة و(2000) طفلاً من هذه الطائفة، كما افادت بذلك، تقارير المنظمات الدولية. كذلك، نشير في هذا الصدد، ان طائفة الصابئة المندائية، اخذ حجمها يتناقص بشكل كبير بعد موجة التطرف، وهذا يدل دلالة قاطعة على ان المجتمع، لم يعد آمناً للاقليات، وهو الامر الذي دفع افرادها الى التفكير بالهجرة الخارجية بشكل جدي؛ بهدف الشعور بالأمن والطمأنينة.

9- زيادة معدلات التسرب من الدراسة :

تشير البيانات التربوية، ان التطرف الديني والمذهبي، الذي تعرضت له بعض المدن العراقية، اثر بشكل واضح على انتظام الاطفال في مدارسهم؛ والسبب يعود الى ان الجماعات المسلحة التي سيطرت على هذه المدن، دفعت بالاسر الى التوجه الى المناطق الآمنة. وقد ترتب على ذلك، ان الكثير من اطفال هذه الاسر، ترك الدراسة، ولم يعد بإمكانه العودة اليها. وان ثمة اسباباً تحول دون مواصلة الاطفال لدراساتهم، منها : ان المناطق التي استقروا فيها، تفتقر الى مدارس قريبة منهم، وان توافرت، فهي تبعد بمسافة بعيدة عن منطقة سكناهم، وهو الامر الذي دفع بهؤلاء الاطفال الى صرف انتباههم عن الدراسة. كما ان تدهور المستوى المعيشي للاسر، منعها من السماح لاطفالها، ان يلتحقوا في الدراسة؛ والسبب يرجع الى ان الانتظام في الدراسة، يقتضي الانفاق على مستزمات الدراسة، وهو امر يتعارض مع اوضاعها المعيشية الراهنة، لذا، تعد الدراسة بالنسبة للاسر المهجرة، مسألة غير مهمة. كذلك، فان الصعوبات الحياتية، التي اخذ يعاني منها الابوان، جراء التهجير القسري، استتارت المزيد من الخلافات بينهما.⁽²⁾ وقد انعكست على الاطفال، وبالنتيجة النهائية، فان هذه الخلافات، ادت الى اشاعة اجواء رافضة للدراسة. ومن الاسباب التي ادت الى زيادة معدلات التسرب من الدراسة، ان الاوضاع الامنية

(1) صحيفة البيئة الجديدة، 2010/11/29

(1) محمود شمال حسن، الاطفال والتهجير القسري : الاثار النفسية المترتبة على تعرض الاطفال الى التهجير

القسري (بيروت: دار الكتب العلمية، 2014)، ص 24

المضطربة، دفعت ببعض الاسر الى منع الاطفال من الانتظام في الدراسة. كذلك، مُنعت الاناث من الالتحاق في المدارس والجامعات، مما ادى والحال هذه، الى زيادة معدلات التسرب بشكل ملحوظ مقارنة بالسنوات التي سبقت موجة التطرف.

10- شيوع ظاهرة التكفير بين الجماعات الاثنية:

تشير الوقائع الميدانية، ان ظاهرة التكفير، اخذت بالذيع والانتشار، اثر موجة التطرف التي شاعت في عموم المجتمع العراقي، فلقد لوحظ، ان المسلمين من كلتا الطائفتين: الشيعية والسنية، اخذوا يكفرون بعضهم بعضاً بصورة علنية، ودون خشية من احد؛ والسبب يرجع الى وجود تنظيمات سياسية تعتنق معتقدات لا تتناسب مع مقتضيات الحياة المعاصرة. والمنتبع للبيانات الصادرة عنها، يجد انها تدعو الى احياء الخلافة الاسلامية بالصيغة التي وردت في كتابات منظريها، وليس بصيغة الاسلام في عهد الرسول الكريم؛ وحتى نلم بمعتقدات هذه التنظيمات واهدافها السياسية التي تدعو اليها. نشير في هذا السياق الى بحث بعنوان (لماذا نقاتل ونقاتل من؟) لابي حمزة البغدادي، احد اعضاء الهيئة الشرعية لتنظيم القاعدة، ورد فيه كما يشير الهرماسي 2010. ان الرفض، وهو يقصد هنا الشيعة تحديداً، تكالبوا على اسقاط الخلافة العباسية، ثم تكرر هذا التكالب في الوقت الحاضر، كما يشير البحث؛ وذلك من خلال التحالف الحاصل بين ائمة الرفض واهل الكفر الاميركي على اهل السنة والجماعة.⁽¹⁾

ثم ينتقل البغدادي بعد ذلك الى تصنيف ديانة الافراد الى ثلاث فئات: فاما الاولى، فهي الفئة التي تشتمل على الافراد الذين يؤمنون بالاسلام ويلتزمون باحكامه، وهؤلاء كما يرى البغدادي، هم اخوتنا. واما الثانية، فهي الفئة التي تشتمل على الافراد الذين يؤمنون ببعض احكام الاسلام، ويعرضون عن اخرى، والواجب يقتضي قتالهم؛ بهدف اجبارهم على قبول احكام الاسلام بكاملها، ودون ان يعطلوا جزءاً منها. واما الفئة الثالثة، فهي تشتمل على الافراد الكافرين، وهؤلاء من أهل الكتاب والمجوس، والواجب الشرعي كما يشير التصنيف، عرض الاسلام عليهم، فان ابداوا معارضة، فعليهم ان يدفعوا الجزية مع صغارهم.⁽²⁾ وان امتنعوا عن الدفع، فان الواجب يقتضي هنا، قتالهم حتى ينصاعوا للواجب الشرعي. كما يضيف البغدادي الى الفئة الثالثة، الحكام

(2) عبد اللطيف الهرماسي، ظاهرة التكفير في المجتمع الاسلامي من منظور العلوم الاجتماعية للاديان

(بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010)، ص 50-51

(1) الهرماسي، ظاهرة التكفير في المجتمع الاسلامي من منظور العلوم الاجتماعية للاديان ص 51-52

وانصارهم من الصحفيين والكتاب وعلماء السوء واولئك الذين يقدمون الدعم والاسناد للحكام، وفي المقدمة منهم : رجال الجيش والشرطة.⁽¹⁾ وهؤلاء لابد من قتلهم مع ذريتهم ونسائهم؛⁽²⁾ بهدف تقليص اعداد الكافرين، وصولاً الى مجتمع نقي من الناحية الدينية.

وحسبنا ان نذكر في هذا المجال، ولو من باب الاشارة، ان التكفير الصادر عن التنظيمات المتطرفة، لم يقتصر على الافراد فحسب، وانما شمل التشريعات الوضعية ايضاً، فهي تعد من وجهة نظر هذه التنظيمات، اشراكاً بالله؛⁽³⁾ ولأنها كذلك، فهي احكام غير شرعية؛ لان البشر قد وضعها؛ لكي تحل محل الاحكام الشرعية، وهي بذلك تتكر السيادة لله وحده. كذلك، شمل التكفير الفكر الانساني الذي يضم الايديولوجيا والفلسفة التي انتجها الغرب، فضلاً عن تكفير احزابه السياسية ومؤسساته البرلمانية.⁽⁴⁾ ويفهم من تكفير فكر الاخر ومؤسساته، ان الاسلام بوصفه ديانة سماوية، يتناقض مع الاوضاع المرتبطة بالحدثة، وان الحدثة من وجهة النظر هذه، تتعارض تماماً مع الفكر الاسلامي، وهو امر غير سليم. وينبغي الحذر من تعميم اطروحات فكرية مثل هذه؛ والسبب يرجع الى ان هذه التنظيمات، تعتقد ان استعادة الماضي، والاعتماد على اطروحاته في ادارة الشؤون العامة، سيفضي الى اصلاح حال البلاد والعباد. وبتحديد ادق : ان التدهور الحاصل في احوال البلاد والعباد، سببه الابتعاد عن اطروحات الماضي، وعدم الاخذ بها، كما ان استدخال فكر الاخر غير المسلم، زاد من مستوى التدهور والانحلال الاخلاقي في البلاد. وان الضرورة تقتضي العزلة كما يرى اصحاب هذا الفكر، والانقطاع عن الاتصال بالآخر، وهذا سيؤدي بالنتيجة الى المحافظة على الخصوصية الدينية اولاً، ثم الخصوصية الثقافية ثانياً.

نشير في هذا الصدد، ان التفكير لم ينحصر بالمسلمين المختلفين مذهبياً، وانما شمل ايضاً الجماعات الاثنية التي لاتدين بالاسلام. فلقد اخذت تُنعت بالكفر والزندقة، وتتهم بمساعدة الاجنبي على اشاعة الفاحشة والرذيلة في ارض المسلمين؛ ولان هذه الجماعات كافرة ولاتؤمن

(2) الهرماسي، ص 52

(3) نصيف جاسم حمدان، الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش : العمليات النفسية العسكرية. اسلوب قتال

داعش (بغداد : دار الكتب العلمية، 2017)، ص 87

(4) الهرماسي، ص 46

(5) الهرماسي، ص 47

بالله، فقد وجب تصفيتها وتخريب دور العبادة العائدة لها؛ ولعل السبب يعود من وجهة نظر الجماعات التي تعتنق الفكر المتطرف الى انها اماكن لا يذكر فيها اسم الله، وتعبد فيها الاوثان. في مقابل تطرف الجماعات الاسلامية، بدأنا نشهد تطرفاً من جانب الجماعات غير المسلمة، وإذا امعنا النظر فيه، نجد انه رد فعل ازاء الاساءة، او الضرر التي لحقت بها من طرف الجماعات الاسلامية. وكانت النتيجة المتوقعة، ان التطرف الذي اظهرته هذه الجماعات، برز بصيغة لفظية، يفيد : ان المسلمين قوم غير مؤمنين، ولا يعرفون الاخوة الانسانية. وانهم يؤدون شعائر دينية شكلية، ودليلهم على ذلك، انها لم تؤثر في سلوكهم اليومي، لذا يعد، المسلمون من وجهة نظر الجماعات غير المسلمة، قوم من دون ديانة.

11- تجريد الاخر من صفاته الانسانية:

تشير الدلائل، ان الافراد الذين يتصفون بالتطرف الديني، او المذهبي، اخذوا يطلقون احكاماً جاهزة على الاخرين المخالفين لهم. والتمتع فيها، يجد انها سلبية للغاية، وتكمن سلبيتها في انها تجرد الاخرين من صفاتهم الانسانية، وكأنهم كائنات غير بشرية؛ ولانهم كذلك، فهم حثالة المجتمع، او فضلاته.⁽¹⁾ وان المجتمع ينبغي ان يتخلص منهم في القريب العاجل، ليتفرغ بعد ذلك الى الاصلاح والبناء، على ان تجريد الاخر من صفاته الانسانية، سيزترتب عليه مشكلات من قبيل : زيادة مستوى السلوك العدواني الموجه نحو الاخر المخالف في الدين، او المذهب، مما يفضي الى تقليل مستوى التفاعل الاجتماعي بين الجماعات الاثنية المختلفة. وهذا بدوره، سيؤدي الى صعوبة الاتصال بين هذه الجماعات، ومن المتوقع، ان تشيع العزلة الاجتماعية فيما بينها. كذلك لوحظ، ان تجريد الاخر من صفاته الانسانية، افضى الى تنمية مايسمى ب(التوحش)، والتوحش بهذا المعنى، يشير الى تجريد الفرد من صفاته الانسانية، لينتهي الامر بعد ذلك بعدم الاكتراث بمعاناته النفسية والبدنية، والتعامل معه على انه كائن يشكل وجوده خطورة على غيره، وان الضرورة تقتضي التخلص منه. والواقع، ان هذا الاسلوب، برز بشكل جلي عند الجماعات التي اظهرت تطرفاً بالغ الشدة في المناطق التي شهدت صراعات مسلحة، فهو والحال هذه، اشبه بسلوك الحيوانات المفترسة. وقد تبين من الوقائع الميدانية، ان التنظيمات المتطرفة التي سيطرت على المدن في كل من العراق وسوريا، تعاملت مع الاخر المختلف دينياً،

(1) كريستيان تيليغا، علم النفس السياسي: رؤية نقدية، ترجمة اسامة الغزولي (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 2016)، ص 84

او مذهبياً، على انه عبد خاضع لسيدته، له كامل الحق في التصرف به، بل وصل الامر الى بيعه في سوق النخاسة، كما حصل مع نساء الديانة الايزيدية والمسيحية. كما ان تجريد الاخر من صفاته الانسانية، دفع بالمتطرفين الى اغتصاب النساء؛ بحجة انهن غنائم حرب، والفقهاء الشرعي العائد لهم، يجيز الاعتداء على النسوة المخالفات في الدين، او المذهب، والنتيجة التي ننتهي اليها، هي ان تجريد الاخر من صفاته الانسانية، سترتب عليه عواقب وخيمة.

12- زيادة معدلات التعرض للصدمة النفسية:

تعد الصدمات النفسية من ابرز الاثار النفسية الناجمة عن التطرف الديني، او المذهبي، ومما يزيد من حدة هذه الصدمات، تحول التطرف الى صراع مسلح، وهو الامر الذي يزيد من شدة تأثيرها، على ان الاطفال اكثر تأثراً بالصدمة النفسية من الكبار؛ ذلك ان وجودهم في مناطق الصراع، يدفع بهم الى التعرض الى خبرات مؤلمة على اختلاف انواعها، وفي هذا السياق نشير الى ابرزها:

-الاعتداء بالسب والشتم

-الاعتداء بالضرب

-الاعتداء الجنسي على احد افراد الاسرة

-تعرض احد افراد الاسرة الى القتل

-تعرض احد افراد الاسرة، او بعضهم الى الاختطاف

-اقتحام المنزل والحاق الاضرار بممتلكاته

-اندلاع النيران في منزل الاسرة

-اندلاع النيران في احد المنازل المجاورة

-تعرض منزل الاسرة الى الانهيار

-تعرض احد المنازل المجاورة الى الانهيار

-سماع دوي الانفجارات بالقرب من المنازل

-مشاهدة المسلحين يجوبون الشوارع

-مشاهدة الجثث على قارعة الطريق

-مشاهدة انفجار عبوة ناسفة

-مشاهدة افراد ابرياء يعتدى عليهم

-مشاهدة افراد يذبحون بالسيف

-مشاهدة افراد يقتلون رمياً بالرصاص

من ذلك يتضح، ان تعرض الاطفال الى خبرات مؤلمة من هذا النوع، سيؤدي ولا ريب الى مشكلات نفسية متعددة، وقبل الحديث عن التفاصيل المتعلقة بهذه المشكلات، لابد من تعريف الصدمة النفسية أولاً، ثم الاحاطة بشروطها ثانياً، ليتسنى لنا بعد ذلك، الحديث عن المشكلات النفسية الناجمة عن تعرض الاطفال الى الصدمة النفسية.

باديء ذي بدء نعني بالصدمة النفسية، انها ((احداث مفاجئة وغير متوقعة تكون خارج حدود الخبرة الانسانية الاعتيادية، تتهدد او تدمر صحة الفرد او حياته، يستجيب لها بالخوف الشديد، العجز او الرعب)).⁽¹⁾ وبذلك، فان الصدمة النفسية من وجهة نظر التعريف، ينبغي ان تكون احداث مفاجئة وغير متوقعة، اي غير مألوفة للفرد، على ان تنطوي هذه الاحداث على خطورة تهدد حياته، وعندما يدركها انها مهددة لحياته، فمن الطبيعي ان تصدر عنه استجابات دالة على الخوف الشديد، او الرعب.

وهناك تعريف اخر للصدمة النفسية، يرى فيها، انها عبارة عن ((حالة من الضغط النفسي ذي المصدر الخارجي تتجاوز قدرة الانسان على التحمل والعودة الى حالة التوازن الدائم بعدها)).⁽²⁾ والحقيقة، ان التعريف الوارد هنا، حدد الصدمة النفسية، على اساس انها ضغط نفسي، والضغط النفسي عبارة عن حدث، او مجموعة احداث يتعرض لها الفرد، وعادة ماتكون هذه الاحداث، خارجية المصدر، وان شدتها تفوق قدرة الفرد على التحمل، وانها لاتمكنه من العودة الى حالة التوازن. وتعرف الصدمة النفسية من وجهة نظر ثالثة، انها ((ذلك الحدث الذي يخرج عن نطاق الخبرة [الاعتيادية] للبشر ويفضي الى انحطاط نفسي ملحوظ لاي فرد يقع ضحية له)).⁽³⁾

والتعريف الوارد في هذا الصدد، لم يخرج عن سياق التعريفين السابقين، فهو يرى ان الصدمة النفسية، عبارة عن حدث، ولكنه يختلف عن الاحداث الحياتية الاخرى في درجة التأثير، اذ ان

(1) مكتب اليونيسيف الاقليمي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، مساعدة الطفل الذي يعاني من الصدمة النفسية (عمان : مكتب اليونيسيف الاقليمي، 1995)، ص 22

(2) يحيى فايز الحداد، الحروب واثارها النفسية على الاطفال، عالم الفكر، المجلد 36، العدد 2 (اكتوبر - ديسمبر، 2007)، ص271

(3) احمد عبد الخالق [اخرين]، الاضطرابات التالية للأحداث الصدمية (الكويت : مكتب الانماء الاجتماعي، 2000)، ص36

تأثيره يخرج عن نطاق الخبرة الانسانية الاعتيادية، ويدخل في نطاق الخبرة غير الاعتيادية، لذا، فان تعرض الفرد الى الحدث المعني، سيؤدي ولاريب الى تدهور وضعه النفسي. يستنتج من التعريفات التي ورد ذكرها، مايلي:

- 1 - ان الصدمة النفسية، هي حدث، او مجموعة من الاحداث المفاجئة، وغير المتوقعة .
 - 2 - وعادة ما يكون هذا الحدث (الاحداث) مهدداً لحياة الفرد، الى حد يفوق قدرته على التحمل .
 - 3 - وتتمثل الاستجابة لهذا الحدث (الاحداث)، بالخوف الشديد، او الرعب .
- واستناداً الى ذلك، نستطيع ان نعرّف الصدمة النفسية، انها عبارة عن حدث، او مجموعة من الاحداث المفاجئة، او غير المألوفة، يتعرض لها الفرد، اذ ينطوي على تهديد لحياته، تصل الى مستوى يفوق قدرته على التحمل، وان الاستجابة لها، تتخذ في العادة صيغة الخوف الشديد، او الرعب، وقد يفضي ذلك الى شعوره بالعجز، وعند ذلك يصبح يائساً من الخلاص .
- ان مما يجب الاشارة اليه في هذا الصدد، ان الصدمة النفسية تعتمد على شرطين اثنين : فأما الشرط الاول، فهو ان الفرد قد عانى من الحدث، او وقع امامه، وأما الشرط الثاني، فان الفرد يستجيب الى الحدث المعني بالخوف الشديد، او الرعب.⁽¹⁾ وبموجب هذين الشرطين، نستطيع ان نصنف الاطفال الذين تعرضوا الى الصدمة النفسية عن غيرهم.
- ومايهمنا هنا، ان الاطفال الذين تعرضوا الى الصدمة النفسية، جراء الصراع المسلح، ومن ثم تهجيرهم عن مناطقهم السكنية، اخذوا يعانون من مشكلات نفسية متعددة، وفي هذا الصدد نذكر اهمها:

أ- لقد كانت العمليات العسكرية التي شهدها الاطفال شديدة الوطأة عليهم، من الناحية النفسية وقد سببت لبعضهم اضطرابات نفسية، وان ثمة مؤشرات دالة عليها، منها : التعب والارهاق وفقدان الشهية واضطرابات النوم.⁽²⁾ وآلام الرأس ووجاع البطن وآلام المفاصل والنحول والاسهال

(1) عبد الخالق [واخرون]، الاضطرابات التالية للأحداث الصدمية ، ص143

(2) ميسون الوحيدي، الاسرة الفلسطينية والموروث الثقافي الداعم وقت الازمات، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد

1، العدد 2 (صيف، 2001)، ص 196

والحزن والاكنتاب والانطواء والانعزال عن الاخرين والنفور منهم، يصاحب ذلك، احلام مزعجة، او كوابيس ليلية يتعرضون لها، اذ تعكس هذه الكوابيس، طبيعة الكارثة التي تعرضوا لها.⁽¹⁾ فقد يصعب عليهم نسيان ماحدث، وتبعاً لذلك، ستظل صور عمليات الصراع المسلح، ملازمة لهم مدة من الزمن، قد تطول، او تقصر، وهذا يعتمد على طبيعة الاسناد الاجتماعي الذي يقدم اليهم، فكلما كان فعالاً، افضى الى التخفيف من معاناتهم، والعكس صحيح، ان كان الاسناد الاجتماعي ضعيفاً، فقد يفضي الى زيادة معاناتهم.

ب- ومن الاثار النفسية المترتبة على الصدمة النفسية، تعرض الاطفال الى تشتت الانتباه، ويتمثل ذلك بصعوبة تركيزهم على المنبه الهدف، وهو الامر الذي استثار تدمير المعلمين منهم؛ لكونهم لايركزون في الدرس، وان فهمهم للمواد الدراسية بات ضعيفاً، كما يشير هؤلاء المعلمون؛ وان السبب يرجع من وجهة نظرهم الى ان هؤلاء الاطفال غير مكترئين بالدراسة.

والحقيقة التي لا بد من ذكرها هنا، ان العمليات المسلمة التي تعرض لها الاطفال، عمدت الى احباطهم، ومن ثم استثارت حقدهم على الاوضاع المحيطة بهم، التي ادت بالمحصلة النهائية الى تشتت اسرهم وضياع ممتلكاتهم. ولقد افضى ذلك كله، الى تدميرهم من الدراسة، وعدم اكرائهم بها؛ لانها اصبحت من وجهة نظرهم غير مجدية. لذا، فان تشتت الانتباه، سيظل ملازماً لهم، ولن يستطيعوا التخلص منه، طالما ان المعاناة الناجمة عن الصدمة النفسية، لما تزل بعد، مستمرة.

ج- لقد استثارت صور القتل والتدمير في المناطق التي شهدت صراعاً مسلحاً، كراهية الاطفال ونفورهم من الشخصيات الانسانية التي يرونها في البيئة الاجتماعية. وهذا يؤشر حقيقة مهمة، ألا وهي: ان الاوضاع المرتبطة بالصراع المسلح، وما نجم عنه من تهجير قسري، جعلت الاطفال يكونون اتجاهات سلبية نحو الشخصيات الانسانية، وليس ادل على ذلك، سوى احاديثهم التي تتعت هذه الشخصيات بنعوت سلبية.

نشير في هذا الصدد، ان احدى الدراسات التي اجريت على اطفال المرحلة الابتدائية في مجتمع شهد عمليات تهجير قسري على نطاق واسع، طلبت من اطفاله، ان يرسموا موضوعات تعد مفضلة بالنسبة لهم. وبعد تحليل الرسوم، تبين ان (75%) من الاطفال الذكور، رسموا

(3) محمود شمال حسن، وضعيات السلوك البشري اثناء وقوع الكارثة وما بعدها، الموقف الثقافي، السنة

4، العدد 24 (تشرين الثاني - كانون الاول، 1999)، ص 37

الشخصيات الانسانية بطريقة سلبية، وان (53%) من الاناث رسمن هذه الشخصيات بطريقة سلبية ايضاً.⁽¹⁾

وبالرغم من التفاوت في السلبية الحادثة في رسوم الاطفال من كلا الجنسين، فان ذلك يشير، ان الخبرات المؤلمة التي تكونت بفعل صدمة التهجير، قد احدثت تغييراً في اتجاهات الاطفال على نحو سلبي، على ان الذكور كانوا اكثر تأثراً بصدمة التهجير من الاناث. وقد انعكست هذه الصدمة في رسومهم، بدليل ان الذكور رسمو العمليات المسلحة، في حين، ان الاناث رسمن البيئة الاجتماعية.⁽²⁾ وهذا يدل دلالة قاطعة على ان اتجاهات الاطفال نحو المجتمع والعلاقات الاجتماعية، قد تغيرت بطريقة سلبية، مما يستدعي اعداد البرامج النفسية والاجتماعية التي من شأنها، ان تحدث تعديلاً في اتجاهاتهم هذه، بحيث تتحول من السلب الى الايجاب، وذلك هو المطلوب.

د- ان من البين الواضح، ان عمليات الصراع المسلح التي وقعت في البيئة التي يعيش فيها الاطفال، عمدت الى تشويه مدركاتهم، او بمعنى اخر: عمدت الى تشويه مخططاتهم الادراكية، وذلك يعني، انه لم يعد بمقدورهم تفسير التنبهات الحادثة في عالمهم الاجتماعي؛ طبقاً لهذه المخططات وذلك يرجع بطبيعة الحال، الى ان العمليات المسلحة التي شهدها الاطفال، قد سيطرت على مخططاتهم الادراكية. وفي هذا السياق، تشير احدى الدراسات التي اجريت على مجتمع تعرض الى التهجير جراء العمليات المسلحة، ان الخبرات المؤلمة الناجمة عن هذه العمليات، قد سيطرت على مخططات اطفاله. ولبيان اثار العمليات المسلحة على المخططات الادراكية للاطفال، طلبت الدراسة من الاطفال الفلسطينيين الذين خبروا آلام الحرب في عام 1967 ان يرسموا صوراً شتى، لا على التعيين، وبعد تحليل الرسوم، تبين ان فكرة الحرب وماتضمنته من معاناة، قد سيطرت على رسومهم. فلقد عكست هذه الرسوم، حالة الهلع التي تعرض لها الاطفال، وقد تمثلت حالة الهلع هذه، باللجوء الى المغارات؛ خشية من قصف الطائرات، او مشاهدة افراداً دفنوا تحت الانقاض، او الصور البشعة لأولئك الذين ماتوا في

(1) حزام خليل حميد، العنف المجتمعي في رسوم تلاميذ المرحلة الابتدائية في محافظة ديالى، الكتاب السنوي

لمركز اجاث الطفولة والامومة (جامعة ديالى)، المجلد 5 (2010)، ص 270

(2) المصدر نفسه، ص 273

العراء، وقد برزت احشائهم⁽¹⁾ كما عكست رسوم الاطفال، مناظر الحرب التي تمثلت بالمسير ضمن قوافل المهاجرين وعطش الصغار وصور السيارات التي احترقت على جانبي الطريق، جراء القصف⁽²⁾ كذلك، عكست هذه الرسوم، الفكرة ونقضها من قبيل: ورقة مورقة وطائرة تحوم حولها، او خيمة منصوبة في العراء وطائرة تغلونها، او سيارة لنقل الركاب وطائرة تحوم حولها⁽³⁾. ان حالة العجز التي اخذ يعاني منها الاطفال جراء الكارثة التي تعرضوا لها، استتارت عندهم فكرة التطلع الى (المنقذ) الذي يخلصهم مما يعانون. وبالفعل، فان رسومهم عكست هذه الفكرة، فلقد بات المنقذ عند هؤلاء الاطفال، هو (الفدائي)، اذ اصبح سوبرمان اطفال المخيم⁽⁴⁾. وهذا يدل دلالة قاطعة على ان العمليات المسلحة التي شهدتها الاطفال، وما ترتب عليها من تهجير قسري، قد احدثت بما لا يدع مجالاً للشك، تغييراً في مخططاتهم الادراكية، وهذا معناه: ان التشاؤم والسخرية والحيرة وفقدان المعنى، قد سيطرت على مخططاتهم هذه؛ وبهدف تعديلها، ينبغي تغيير بيئة الاطفال؛ وذلك بإزالة مخلفات الكارثة، ليتسنى بعد ذلك، ترتيب مخططات هؤلاء الاطفال من جديد.

المصادر:

- (1) العياشي عنصر، العولمة والتطرف: نحو استكشاف علاقة ملتبسة، سياسيات عربية، العدد 21 (تموز / يوليو، 2016).
- (2) عدنان ابو مصلح، معجم علم الاجتماع (عمان: دار اسامة للنشر، 2010).
- (3) القرآن الكريم
- (4) محمد فرغلي فراج، مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1971).
- (5) ايوب نوري صبيح ابو رغيث، التطرف في الثقافة العراقية : دراسة انثروبولوجية في منطقة بغداد الجديدة (جامعة بغداد ، رسالة ماجستير، 2017).

(1) هاني حوراني، الفلسطيني الصغير : دراسة في رسوم اطفال النازحين الفلسطينيين، شؤون فلسطينية، العدد 4 (1972)، ص 168

(2) المصدر نفسه، ص 168

(3) المصدر نفسه، ص 168

(4) المصدر نفسه، ص 168

- (6) عنصر ، العولمة والتطرف : نحو استكشاف علاقة ملتبسة.
- (7) علاء زهير الرواشدة، التطرف الايديولوجي من وجهة نظر الشباب الاردني: دراسة سوسيلوجية للمظاهر والعوامل، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، السنة 31، العدد 63 (2015).
- (8) سمير نعيم احمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، ورقة قدمت الى: الدين في المجتمع العربي (ندوة)، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000).
- (9) عبد الغني عماد، سوسيلوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2017).
- (10) عبد الرحمن الشقير، قتل الاهل والاقارب لاسباب دينية ، اضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع)، العددان 38-39 (ربيع - خريف ، 2017).
- (11) حسن حماد، ذهنية التكفير : الاصوليات الاسلامية والعنف المقدس (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ، 2015).
- (12) عادل محمد هريدي، نظريات الشخصية، ط2 (القاهرة: ايتراك للطباعة والنشر ، 2011).
- (13) محمود شمال حسن، النخبة المثقفة العراقية واشكالية التأثير في الوسط الاجتماعي، مجلة حمورابي للدراسات، السنة 5، العدد 23-24 (صيف-خريف، 2017).
- (14) هيئة الهلال الاحمر العراقي، المهجرون في داخل العراق، المستقبل العربي، السنة 31، العدد 352 (حزيران/يونيو، 2008).
- (15) ساري حنفي، الهجرة القسرية في الوطن العربي: اشكاليات قديمة جديدة، المستقبل العربي، السنة 37، العدد 427 (ايلول/سبتمبر، 2014).
- (16) صحيفة البيئة الجديدة، 2010/11/29
- (17) محمود شمال حسن، الاطفال والتهجير القسري : الاثار النفسية المترتبة على تعرض الاطفال الى التهجير القسري (بيروت: دار الكتب العلمية، 2014).
- (18) عبد اللطيف الهرماسي، ظاهرة التكفير في المجتمع الاسلامي من منظور العلوم الاجتماعية للاديان (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010).
- (19) نصيف جاسم حمدان، الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش : العمليات النفسية العسكرية. اسلوب قتال داعش (بغداد : دار الكتب العلمية، 2017).

- (20) كريستيان تيليغا، علم النفس السياسي: رؤية نقدية، ترجمة اسامة الغزولي (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 2016).
- (21) مكتب اليونسيف الاقليمي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، مساعدة الطفل الذي يعاني من الصدمة النفسية (عمان : مكتب اليونسيف الاقليمي، 1995).
- (22) يحيى فايز الحداد، الحروب واثارها النفسية على الاطفال، عالم الفكر، المجلد 36، العدد 2 (اكتوبر - ديسمبر، 2007).
- (23) احمد عبد الخالق [واخرون]، الاضطرابات التالية للاحداث الصدمية (الكويت : مكتب الانماء الاجتماعي، 2000).
- (24) ميسون الوحيدي، الاسرة الفلسطينية والموروث الثقافي الداعم وقت الازمات، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد 1، العدد 2 (صيف، 2001).
- (25) محمود شمال حسن، وضعيات السلوك البشري اثناء وقوع الكارثة وما بعدها، الموقف الثقافي، السنة 4، العدد 24 (تشرين الثاني - كانون الاول، 1999).
- (26) حزام خليل حميد، العنف المجتمعي في رسوم تلاميذ المرحلة الابتدائية في محافظة ديالى، الكتاب السنوي لمركز ابحاث الطفولة والامومة (جامعة ديالى)، المجلد 5 (2010).
- (27) هاني حوراني، الفلسطيني الصغير : دراسة في رسوم اطفال النازحين الفلسطينيين، شؤون فلسطينية، العدد 4 (1972).